



قيس الجهضمي

قراءة الصورة التاريخية لصدر الإسلام بين الوثيقة والرؤية

المبكرة. أما النص القرآني لدى دونر فهو صنف فريد من نوعه حيث يجعل له قيمة شبه وثائقية للمؤرخ بسبب أسلوب الكتابة والحفظ ومكانته المقدسة لدى المسلمين التي وقفت ضد تحريفه وإن لم تصلنا النسخة الأصلية التي كتبت في لجنة زيد بن ثابت كوثيقة.

لذا على المؤرخ أن يعتمد في بداية الأمر على شهادة الوثائق الأصلية وشهادة النص القرآني لفهم تأريخ صدر الإسلام. لكن بسبب قلة الوثائق الأصلية وصعوبة استخراج المعلومات التاريخية الدقيقة من القرآن الكريم كان على المؤرخ أن يستعمل الروايات التاريخية الصحيحة من كتب التاريخ. ثالثاً: تعيين الاهتمامات الأساسية للمصادر العربية كمؤلفات تاريخية يجب علينا تعيين مناهج جديدة للتأكد من الروايات التاريخية ومدى صحتها وحتى نستطيع إيجاد هذا المنهج علينا أن نفهم في البداية ما هي البواعث الاجتماعية والعقلية والتاريخية لظهور المصادر العربية؟ فالفقار في هذه المصادر يجد أنها أخبار مختلفة ركبت عمداً لأهداف معينة، وهي ليست سوى مستودعات لمعلومات متعادلة القيمة، ومن هذا فإنه يلزم على المؤرخ أن يقرأ النص في إطار المجموعة ككل بحيث إنه يبحث في أهداف المؤلف ومقاصده من إيراده لأخبار دون أخرى.

وهناك العديد من القضايا التي هدفت إلى كتابة فترة صدر الإسلام وتتركز هذه القضايا في أربعة مسائل: النبوة والأمة والهيمنة والقيادة، فهدهت النبوة إلى تأكيد شرعية دين الإسلام عن طريق برهنة أن محمداً رسول الله، أما الأمة فهدهت إلى رسم وجود للأمة في التاريخ من وقت تأسيسها لوقت كتابة المصدر، وجاءت الهيمنة لتشرح سيادة المسلمين لذلك العصر وتسويقها باعتبارها إرادة الله تعالى، وأما مسألة القيادة فوضحت الخلافات القائمة بين الرجال على الخلافة. وجاءت هذه المسائل الأربع لتأسيس شرعية قيام هذه الأمة من خلالها، فالباحث خارج المسائل الأربع لن يجد إلا معلومات مبعثرة تساعد على تشكيل صورة جزئية ضئيلة عن المجال الذي يبحث فيه كالجوانب الاقتصادية في عصر صدر الإسلام.

أخذه في كل ناحية ويتأكد من صحته فمثلاً يمتحنه في طريقة النقل وهووية الناقل ومقاصده واهتماماته... إلخ، لذا نجد أن امتحان النص التاريخي الأدبي صعب جداً فإطلاق أي حكم على صحة رواية تاريخية هو صعب أيضاً. على سبيل المثال: الروايات المنقولة عن مقتل عثمان بن عفان تجعل من الصعوبة إطلاق حكم حاسم على صحتها وكثير من مثل هذه الروايات يتضح أنها تخدم مطامح سياسية معينة.

ثانياً: دور الوثائق في تشكيل صورتنا التاريخية لصدر الإسلام تعرف الوثيقة بأنها «أي شيء مادي يتبقى في صورته الأصلية من ذلك العصر إلى اليوم (أو على الأقل إلى زمن المؤرخ). والوثيقة قد تكون رسالة أو قدحاً من فخار أو نقوشاً حجرية... إلخ. لذا على المؤرخ أن يعتمد في دراسته التاريخية على قراءة وفهم هذه الوثائق ويتجنب قدر الإمكان استعمال الأخبار المنقولة لأنها تحتاج إلى تأكيد بعكس الوثائق التي هي في الأساس نتاج ذلك العصر. ولأن الوثيقة هي التي تحدد السياق اللغوي أو العقلي لذلك العصر، إذا الوثيقة هي «المفتاح لبناء صورة تاريخية سليمة».

ويستعرض دونر حقيقة الوثائق الموجودة التي تخص عصر صدر الإسلام فيجد أنها نادرة جداً حيث إن أقدم وثائق باقية عن الأمة الإسلامية هي قطع بردي تعود إلى سنة ٢٢ هـ. وتكمن إشكالية هذه الوثائق في أنها مبعثرة بحيث تعطينا معلومات ثابتة عن حادثة معينة فقط إلا أنه من الصعوبة تجميعها لخلق تصور عام لتأريخ صدر الإسلام ولكن لا ننكر أنها مفيدة جداً في التثبت من الروايات التاريخية المنقولة في مصادرنا العربية فمثلاً نقش في حجر يرجع إلى سنة ٤٢ هـ في حمة جادر- قرب أم قيس في الأردن- يذكر عبدالله معاوية أمير المؤمنين باللغة اليونانية البيزنطية فهو يثبت وجود معاوية ووجود منصب أمير المؤمنين وجماعة يسمون بالمؤمنين، وبما أن وجود وثيقة تؤكد صحة خبر في مصادرنا العربية فهو تأكيد جزئي فقط لصحة المصدر ولا تعني أن المصدر صحيح بالكلية. فالكشف كميات كبيرة من الوثائق في هذا العصر هو أمر غير محتمل لذا في الحالة الاستثنائية التي يحدث فيها وجود وثيقة فما هي إلا إثبات لناحية واحدة فقط بينما تثير تساؤلات في نواح مختلفة وتعيد النظر في مفاهيم أخرى مثل نقش الحجر المذكور أيضاً حيث يثبت وجود مصطلح «الإمارة» لكنه يثير تساؤلات حول مصطلح «الخلافة» الذي هو معتاد في كثير من المصادر العربية

يتناول فرد دونر في مقالته المعنونة بـ «كتابة تاريخ صدر الإسلام بين الأدب والوثائق» (مجلة التسامح - التفاهم عدد ٧) منهجية الكتابة المتبعة في تأريخ صدر الإسلام ووظيفة المصادر العربية القديمة في خلق صورة عامة لهذا التأريخ، فإن وظيفة المؤرخ ليست عملية كتابة الماضي فقط إنما هي عملية بحث وتجميع لأدلة من مصادر مختلفة فيعمل على تقويمها حتى يخلص إلى استنتاج مفاهيم عن المجتمع المدروس وتطوره، لذا فإن أصل الكتابة التاريخية عند المؤرخ هي نتيجة دراسة وبحث عميق في المصادر ثم الكتابة كآخر عمل تفرزه الدراسة.

تكتسب المصادر التاريخية المبكرة أهمية كبيرة في صياغة تأريخ صدر الإسلام لكن علينا أن نعترف أيضاً أن هذه المصادر تملك عيوباً خطيرة، سواء كانت تناقضات في الأحداث أو صعوبات في فهم منهجية الكتابة التاريخية خلالها، لذا يجب على المؤرخين أن يدركوا كيفية استعمال المصادر العربية المبكرة بطرق منهجية علمية، ويمكن أن نستعرض القضايا حول الكتابة التاريخية لصدر الإسلام في ثلاثة أقسام:

أولاً: إشكالية المصادر العربية لصدر الإسلام إن الصورة العامة لصدر الإسلام وتفصيلها كاملة مستوحاة من المصادر العربية وتحدد الخطوط الأساسية لهذه الصورة: منذ ولادة النبي عليه الصلاة والسلام إلى أحداث الفتنة الثانية «تنازع أبناء المتنازعين في الفتنة الأولى»، حيث إن أغلبية المسلمين قبلوا بالخطوط الرئيسية لهذه الصورة، ويميل دونر إلى تسمية هذه القصة العظيمة بـ «رواية الأصول الإسلامية».

تنقسم المصادر العربية لصدر الإسلام إلى نوعين، أولها كتب السيرة النبوية والتاريخ مثل: السيرة النبوية لحمد بن إسحاق، وتاريخ الطبري وتاريخ يعقوبي، والنوع الثاني كتب الأنساب والتفسير ومصنفات الدين ودواوين الشعر التي ليست هي في الأساس كتباً تاريخية، وكلا النوعين يشتركان في ضعف واحد وهو أنها نصوص أدبية وليست وثائق، ويمكن الضعف في النصوص الأدبية كونها نصوصاً متناقضة من شخص إلى آخر أو من مؤلف إلى ناسخ وهكذا بصورة واضحة عند النقل، لذا توجب على المؤرخ بسبب عملية النقل الحاصلة الشك في النص خوف العبث به خلال النقل مما يحتم على المؤرخ بالضرورة أن يمتحن النص المشكوك فيه قبل

qabuazan@gmail.com

حالياً في الأسواق

- المحور: القرآن الكريم بين التفسير والتأويل

- افتتاحية العدد: التفسير القرآني في الماضي والحاضر - عبد الرحمن السالمي
- مدرسة ابن عباس وتأثيرها على كتب التفسير - أحمد عبد التوفيق
- علم السجود والتمائم وفنانيها التأويل - محمد التتار
- قواعد التفسير - التتار والتطور والصلة بالعلوم الأخرى - عبد الرحمن حطفي
- أصول التفسير عند الإباضية من خلال منهج الشيخ أمثين - الخطيب في كتابه
- تفسير التفسير - يحيى بن يحيى
- الأصول المنهجية للتفسير عند الإمامية ومطلقاتها أحمد صليبي
- المقاربة الفقهاء للقرآن - مدخل لتاريخ النشر الفقهي - همتز الخطيب
- التفسير القرآني بين الأخلاقي والتاريخي - عبد الرحمن الطونجي - محمد قاسم النسي
- تفسير آثار دراسة في التقليد والتجديد - محمد نبيل خنايم
- التفسير البياني عند عائشة عبد الرحمن (بنت السامري) مقارنة منهجية - الحسن شهيد
- التفسير المعاصر للقرآن الكريم في أعمال المعاصرين - أحمد فؤاد باطو
- طباعة المصنف بين فيلولوجيا الاستنساخ وحكم التراجم - فوزية بين مصنف فلول ١٨٤٢ ومصنف الأزهر ١٩٤٤ - اسلام بيدي



النصوص المنشورة تعبر عن وجهات نظر كتابها ولا تعكس بالضرورة رأي مجلة التفاهم أو الجهة التي تصدر عنها.

مجلة التفاهم هاتف: ٢٤٦٤٤٠٣٢ - ٢٤٦٤٤٠٣٢، فاكس: ٢٤٦٠٥٧٩٩ +٩٦٨

البريد الإلكتروني: www.alfahom.net - al.tafahom@gmail.com - tasamoh@gmail.com